الخطاب السياسي وآليات تفعيل المشاركة السياسية في الجزائر

بقلم
أ/ مهملي بن علي
أستاذ مساعد بالمركز الجامعي غليزان الجزائر

❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

يولي الباحثون في العلوم السياسية وعلم الاجتماع السياسي موضوع المشاركة السياسية الكثير من اهتماماتهم، وهذا نظرا لمدى أهميتها الكبيرة في تكريس البناء الديمقراطي، وبعث الروح الوطنية المشبعة بقيم المواطنة والمشاركة في عملية صنع القرار ورسم السياسات العامة، فحينما نتحدث عن الاتصال السياسي فإننا نتحدث عن جملة من العناصر الأساسية المكونة لهذه العملية المركبة والمعقدة، وأبرزها الدور الذي يلعبه المتصل أو ما يسمى بالقائم بالعملية الاتصالية السياسية، لأنه الجوهر الحقيقي في وصول البيانات والمعلومات إلى المتلقي مما يؤثر بصورة كبيرة جدا على العملية السياسية بكل تفاعلاتها، ونذكر على سبيل المثال تأثيرها على المشاركة السياسية، والتي تنعكس بدورها على أداء النظام السياسي بكل مؤسساته من جهة، والأداء الحزبي الذي يعبر عن نتيجة السلوكات السياسية التي تصدرها الأحزاب السياسية من جهة أخرى، ونركز هنا على دور القيادات الحزبية من خلال خطبها السياسية التي يتم من خلال نقل الأفكار والآراء والتوجهات إلى المتلقي بصور متعددة، وضمن إطار شبكات مختلفة.

Abstract:

Researchers in political sciences and political sociology grant the subject of political participation a lot of interest, and this is due to the extent of great importance for the consecration of the democratization, and spread the patriotism spirit saturated with the citizenship, participation in decision-making and policy-making process values. When we discuss the political communication, we are talking about a number of basic components of this complex and complicated process, most notably the role of the caller or the so-called the charged of the political communicative process, , because it is the true essence in the arrival of data and information to the receiver, which affects largely on the political process in all its interactions and recalls, for example, its impact on the political participation, which in turn reflects on the political

system's performance with all its institutions, and their impact on the effectiveness of the party performance, which expresses the result of political behaviors issued by political parties and all political operations, and we focus here on the role of party leaders through their political speeches where they transfer ideas, opinions and attitudes with multiple images to the receiver, within the framework of different networks.

مقدمة:

إن العلاقة بين العملية الاتصالية والعملية السياسية هي علاقة تفاعلية حقيقية، فكلا النظامين يتأثر بالآخر ويؤثر فيه، وإن كان حجم التأثير الذي يمارسه النظام السياسي على نظام الاتصال في البلدان النامية أكبر من تأثير نظام الاتصال على النظام السياسي، ويعود ذلك لخصوصية التركيبة السياسية ،الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية المعقدة والمكونة للنظام السياسي والاجتماعي لهذه الدول، فكثير من وظائف النظام السياسي ترتبط بنظام الاتصال، ومن بين هذه الوظائف صنع القرارات والسياسات العامة، إلا أن العزوف السياسي عن التجمعات الشعبية لمختلف الأحزاب لا يزال سيد الموقف، وأرجع المختصون في علم السياسة ودلاليات الخطاب والسيميولوجية سبب هذا العزوف إلى تدني مستوى الخطاب السياسي للفاعلين السياسيين ورؤساء الأحزاب السياسية وقياداتها المختلفة، مما ساهم في تكريس الجمود السياسي والروتيني الممل الذي أدى إلى نفور المتلقي من المشاركة في كل الفعاليات والتجمعات السياسية، لأنه وبصريح العبارة أصبحت نفس المصطلحات السياسية تتداول وتتردد على مسامع الجزائريين من طرف المتحدثين والقادة السياسيين الذين يفتقر أغلبهم إلى آليات الإقناع السياسي وتقنيات الخطابة كالبساطة وانعدام الصدق و الانطلاق من الواقع، والنظر إلى المستقبل لمعالجة القضايا والمشاكل المختلفة التي تعيق تحقيق التنمية الشاملة، هذا الواقع الذي انعكس وبصورة سلبية على البعد الاتصالي الذي لم يرق للمستوى الجماهيري المطلوب والذي يؤهله لاستقطاب المتلقي وإيصال رسالة سياسية هادفة وصادقة، هذا ما يدفعنا لطرح **الإشكالية التالية:**

ما هو واقع الخطاب السياسي في الجزائر، وما هي الآليات الحقيقية لتكريس المشاركة السياسية الفعالة؟

والتي سوف نقوم بمعالجتها ضمن الخطة التالية:

المحور الأول: الإطار النظري لمفهوم الخطاب السياسي والمشاركة السياسية.

المحور الثاني: واقع الخطاب السياسي الجزائري وسبل تفعيل المشاركة السياسية.

المحور الأول

الإطار النظري لمفهوم الخطاب السياسي والمشاركة السياسية

يعبر الخطاب السياسي عن تلك المنظومة التفاعلية من الأفكار والآراء والاتجاهات السياسية والثقافية والاجتماعية والفكرية من أجل تحقيق أهداف معينة، ضمن إطار جملة من الأنظمة والأنساق والتصورات والمقتربات المتشابكة فيما بينها جوهرها الرسالة الاتصالية وما تحدثه من تأثير سواء كان إيجابيا أو سلبيا على المتلقى، وهو ما يعرف التغذية الرجعية السلبية أو الإيجابية أو حتى المحايدة، فكل هذه التفاعلات تؤثر إما سلبا أو إيجابا على المشاركة السياسية.

أولا: تعريف الخطاب السياسي وخصائصه

أ- تعريف الخطاب السياسي:

يعرف الخطاب من الناحية اللغوية حسب ما ذهب إليه ابن منظور بأنه: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن، فصل الخطاب: أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده[1].

ابتكر هاريس مصطلح الخطاب وعرفه بقوله: "إن الخطاب منهج في البحث في أيما مادة مشكلة من عناصر متميزة ومترابطة في امتداد طولي سواء أكانت لغة أم شيئا شبيها باللغة، ومشتمل على أكثر من جملة أولية، إنها بنية شاملة تشخص الخطاب في جملته.. أو أجزاء كبيرة منه"[2].

يعرف د.سعد مطر عبود الزبيدي الخطاب السياسي بأنه منظومة من الأفكار تشكلت عبر تراكم معرفي نابع من استقراء للواقع بكل مكوناته الثقافية والاجتماعية والسيكولوجية وتمحورت عبر أنساق إيديولوجية مستمدة من التصورات السياسية المنبثقة من التراث أو من الحداثة التي تختلف في آلياتها ونظمها حسب مستوى النضج الفكري والوعي بمتطلبات المجتمع ومدى ارتباطها بمستوى الأداء الحركي في عملية التغيير والتنمية والحضور الوجودي.

يجرنا الحديث عن الخطاب السياسي إلى تناول موضوع الرسالة الاتصالية مما يتطلب اهتماما وهياكل خاصة تتلاءم مع طبيعة ونوعية العلاقة الاتصالية بين مصدر المعلومات والجمهور المستهدف. فالرسالة تصبح مستقلة عن المرسل بمجرد إرسالها. حيث أن تصحيحها قد يؤدي إلى بروز نوع من التناقض وفقدان الثقة من جانب الجمهور المستهدف، الذي ينتمي إلى تيارات حضارية وفكرية مختلفة. وهو ما يستوجب بالتالي أن تتوفر في الاتصال الدولي عدة صفات مثل: القدرة على التنبؤ، الحذر، عدم المبالغة، وبعد النظر[3]، ويرى أرسطو أن الخطاب السياسي يقوم على ركائز ثلاث هي: أخلاقيات المجتمع (ethos)، محاكاة المشاعر الشعبية (pathos)، والمنطق (logos)، وهو ما يعني التشابك المرهق بين المنطق وقواعد اللغة وبين الصورة التي تركبها الاستعارات اللفظية (metaphor) والمجاز (metonymy) والجناس (analogy) في بنية الخطاب، وتنقسم عناصر الخطاب السياسي إلى عنصرين أساسيين وهما: (المتحدث أو المرسل والخطاب السياسي).

كما يهدف الخطاب إلى فك شفرة النص بالتعرف على ما وراءه من افتراضات أو ميول فكرية أو مفاهيم؛ فتحليل الخطاب عبارة عن محاولة للتعرف على الرسائل التي يود النص أن يرسلها، ويضعها في سياقها التاريخي والاجتماعي، وهو يضمر في داخله هدفا أو أكثر، وله مرجعية أو مرجعيات وله مصادر يشتق منها مواقفه وتوجهاته[4].

ب- خصائص الخطاب السياسي:

هناك صفات للخطاب السياسي يقوم المتحدث بتحديد طبيعتها والتدرب عليها سلفا وهى كالتالي[5]:

1. المستوى الصوتي للخطاب:

حيث هناك صلة واضحة بين المستوى الصوتي وما يرمز إليه ، فهناك مستوى للتعبير عن حالة الغضب والفرح والانزعاج والقوة والضعف وكذلك مدود الكلمات وقصرها وارتفاع الصوت وخفضه هكذا.

2. المستوى الصرفي للخطاب:

وهى تعني تناول أبنية الكلمات داخل الخطاب، كأن يطلق سياسي ما مصطلحا ما قام بصياغته ونحته على حزب أو جماعة أو فرد كأن تطلق كلمة الحمائم والصقور على بعض السياسيين، وقد يقوم بعضهم بتحويل المعنى الدلالي لبعض المصطلحات ويستخدمها لصالحه ففي عقد الثمانينيات من القرن العشرين تمت الإشارة إلى السيدة- مارجريت تاتشر" في البداية باسم- المرأة الحديدية"، وكان هذا الوصف يعني عدم المرونة في تعاملها مع الآخرين، وتحولت دلالة المصطلح بعد ذلك إلى معنى إيجابي عندما تم فهمه على أنها تجسد معنى الصلابة والتحمل كما ذكره جورج كلاوس.

3. المستوى الدلالي للخطاب:

وهو الاهتمام بالأفكار والموضوعات والمفردات والمضامين التي تحقق المعنى والتميز الخطابي للمتحدث، فقد يعتمد أحدهم على الاستعارات أو الألفاظ الفنية أو الحربية كمن يتحدث عن أحد السياسيين بأنه رأس الحربة، وآخر بأنه الدفاع الجوى وهكذا، وقد يتحدث آخر بأسلوب حسابي أو رياضي كالملاكمة أو ديني أو علمي ومن المهم أن يكون للسياسي القائد أسلوب يميزه.

4. الاهتمام باللغة المستخدمة:

المستخدمة فقد يتحدث أحد السياسيين بلغة الحقوق، وآخر بالقوة ، وآخر بلغة الأمن، وآخر بلغة كبير العائلة أو الأخ الأكبر أو الأصغر، أو المظلوم ومن هنا فإن المتحدث يحدد الصيغة التي يخاطب بها الجماهير والشعوب و لا يترك نفسه للظروف تحركه كيفما تشاء.

5. الكلمات المفاتيح:

وهي الكلمات التي يتم صياغتها وانتقائها بدقة وتكرارها أثناء الخطاب السياسي، فهي تختمر في ذهن الجماهير وتأخذ بألبابهم وعقولهم وقد تصبح دليلا على صاحبها بعد ذلك، مثل كلمة مارتن لوثر كينج في إحدى خطبه الشهيرة في يوم 28 أغسطس عام 1963 في واشنطن عندما قال أنا لدى حلم " I have a dream" فقد ذاعت الكلمة وانتشرت حتى سميت الخطبة باسم هذه الجملة ، وأصبح السود جميعا في الولايات المتحدة يرددون " أنا لدى حلم"[6].

بالرجوع إلى تصميم الخطاب السياسي نفسه، نجده عبارة عن مجموعة من المفردات ذات التأثير الواسع على توجهات الجمهور، ليست لغرض وظيفي معين بقدر ما هي وسيلة لإحلال توجهات جديدة، حيث يتم استعمال مصطلحات في غير مكانها لغرض تحقيق أهداف معينة، وتكرست هذه المفردات من خلال ثلاثة أنماط معاصرة للخطاب، وهي(7):

أ- خطاب الميادين: الخطاب الاحتجاجي والمفتوح أمام كل الأفراد.

ب- خطاب الشاشات: ويشمل كل ما تبثه القنوات الفضائية.

ج- خطاب الصناديق: وهو الخطاب السياسي الذي يرافق العمليات الانتخابية.

ثانيا: مفهوم المشاركة السياسية ووسائلها.

أ- تعريف المشاركة السياسية:

يعرفها "د.كمال المنوفي" بأنها حرص الفرد على أن يكون له دور إيجابي في الحياة السياسية من خلال المزاولة الإرادية لحق التصويت أو الترشح للهيئات المنتخبة، أو منافسة القضايا السياسية مع الآخرين أو الانضمام إلى المنظمات الوسطية، ويعرفها " هنتجتون" بأنها أنشطة الأفراد التي تهدف إلى التأثير على صنع الفل الحكومي، وهي أنشطة فردية أو جماعية، منظمة أو عفوية، موسمية أو مستمر، سلمية أو عنيفة، فعالة أو غير فعالة، شرعية أو غير شرعية(8).

كما تعرف المشاركة السياسية أيضا على أنها ((تلك المجموعة من الممارسات التي يقوم بها المواطنون، أو بها يضغطون بغية الاشتراك في صنع وتنفيذ ومراقبة تنفيذ، وتقييم القرار السياسي اشتراكا خاليا من الضغط الذي قد تمارسه السلطة عليهم)) (9).

كما قدم لنا ميلبراث **Milbrath** ثلاث فئات يمثلون ثلاثة مواقف بالنسبة للمشاركة السياسية الاعتيادية، وهي(10):

1. اللامبالون: وهو أولئك الذين لا يشاركون، أو الذين انسحبوا من العملية السياسية.
2. المتفرجون: وهم الأشخاص قليلو التفاعل مع العمليات السياسية.
3. المنازلون: وهم الإيجابيون أو المقاتلون في السياسة.

ب- وسائل المشاركة السياسية:

1- المشاركة السياسية الدائمة:

تتمثل في المشاركة عن طريق الأحزاب السياسية، فهي تعتبر كوسيلة هامة وحقيقية لهدف إيصال رسائل سياسية تعتمد بصورة كبيرة ومباشرة على الحوار المفتوح مع الجماهير الشعبية، وهذا بهدف ترسيخ العقيدة السياسية للحزب في عقول الجماهير المستهدفة من البرامج والخطابات السياسية المختلفة، كما ترغب هذه الأخيرة في كسب الدعم الشعبي، من خلال الاستماع لجميع انشغالات المواطنين والرغبة في تقديم خطط واستراتيجيات سياسية هامة لمعالجتها وتغيير الأوضاع السائدة التي يود المواطن تغييرها، هذا إضافة إلى الاجتماعات الدورية التي يقوم من خلالها الحزب بمناقشة العديد من الانشغالات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، والتي تحتاج في معالجتها إلى تقديم الحلول الممكنة من خلال ما يقدمه أعضاء الحزب من مقترحات حسب التدرج الهرمي في الحزب حتى تصل إلى مستوى القيادة وتنصهر في برامج الحزب المختلفة.

2- المشاركة السياسية الدورية:

وتتمثل في المشاركة بالاقتراع المباشر في الانتخابات، وتعتبر هذه الآلية من أهم سبل المشاركة السياسية في الجزائر.

3- المشاركة السياسية التمثيلية:

وتمثل مجموع المؤسسات السياسية على المستوى المحلي (المجالس البلدية والولائية...) أو المستوى الوطني (البرلمان) أي مجموع القنوات التي تمكن المواطنين من المشاركة السياسية في عملية صنع القرارات ورسم السياسات العامة.

4- المشاركة عبر الإستفتاء الشعبي:

يقصد بالإستفتاء الشعبي اصطلاحاً الرجوع إلى الشعب لأخذ رأيه بالموافقة أو الرفض في أي موضوع عام، سواء كان قانونياً أو دستورياً أو سياسياً بصفته صاحب السيادة، حيث يلجأ النظام الحاكم، أحيانا، إلى الحصول على التأييد الشعبي لقانون أو إجراء قبل تطبيقه.

5- الحركات الجمعوية:

أصبح العمل الجمعوي ضرورة اجتماعية، يهدف إلى ترقية الطاقات البشرية والعمل التطوعي، بهدف التكفل بالمشاكل الاجتماعية التي تشكل عائقا حقيقيا أمام تحقيق التنمية الشاملة، مما يتوجب تظافر جميع الجهود لمواجهتها.

6- المشاركة بالإعتراض الشعبي:

كاعتراض المواطنين على القوانين الصادرة عن البرلمان أو القرارات التي يصدرها النظام السياسي.

المحور الثاني

واقع الخطاب السياسي الجزائري وآليات تفعيل المشاركة السياسية

إن الحديث عن المشاركة السياسية في الجزائر يجرنا بالحديث عن مجموعة من التفاعلات السياسية والاجتماعية والإيديولوجية، يمثل جوهرها الأداء السياسي، وهو يعبر عن نتيجة السلوكات التي يؤديها الأفراد والمؤسسات معا ضمن إطار المؤسسات السياسية المختلفة، فحينما نشير إلى الأداء الحزبي، فنحن نتحدث عن شقين هامين: الأول يهتم بالحزب السياسي كمؤسسة، وهو ما نسميه بالأداء التنظيمي، ويشمل ذلك الإطار القانوني والاجتماعي والبشري والثقافي والسلوكي والمادي والايديولوجي هدفه دمج كل العوامل من أجل تحقيق نتيجة ملائمة ومناسبة، وهذا ضمن إطار شروط تختلف باختلاف الحيز المكاني والزمني الذي توجد فيه، أما الشق الثاني فهو مرتبط بالأشخاص أنفسهم، وهو ما نسميه بالأداء الوظيفي، هو سلوك يعبر عن العمل الذي يؤديه الفرد داخل المؤسسة ومدى تفهمه لدوره واختصاصاته وفهمه للتوقعات المطلوبة منه، ومدى إتباعه لطريقة أو أسلوب العمل الذي ترشد له الإدارة عن طريق المشرف العام، ولكن هذا الأداء السياسي لن يتحقق إلا بوجود خطاب سياسي قوي وفعال، حقيقي وصادق يتم من خلاله التأثير في المتلقي وتحقيق الأهداف المرجوة من نص الخطاب.

أولا: واقع الخطاب السياسي في الجزائر

أجمع العديد من الباحثين والمختصين في الاتصال السياسي عن تدني الخطابات السياسية للفاعلين والقادة السياسيين، حيث أصبحت خطاباتهم لا تخلو من صفات التهديد والوعيد والترغيب والترهيب للخصم، الاستخفاف بمشاعر ومواقف

الآخرين، مع غياب الأسلوب العلمي والأدبي المقنع، واستعمال مفردات سوقية منحطة دخيلة على الخطاب السياسي الجزائري ...الخ.

كما نجد أن أغلبية الأحزاب السياسية لا تتمتع بتاريخ خاص لها، لأنها اعتمدت على مقتضيات السلطة وشروطها وحاجاتها ومنه نفسر الإفلاس الديمقراطي وعدم تحقيق الإصلاحات السياسية، إذ أن الساحة السياسية لم تتشكل منذ البداية بمجالها الثقافي كشرط لازم لأية ممارسة للشأن العام، وكل ما حدث هو افتراض التعددية في الهوامش والأطراف مع بناء السلطة الفعلية في المركز والنواة[11]، وترتبط قدرة الحزب علي القيام بوظائفه بعدة مقاييس للأداء السياسي يتم من خلالها المساهمة في تحقيق الإصلاحات السياسية في الجزائر، ومن أبرزها قوة الخطاب السياسي وتحفيز المواطنين للمشاركة في العملية السياسية بصفة عامة.

ويضيف الدكتور أحمد حمدي[12] في حوار خص به جريدة الشعب عن قراءته للخطاب السياسي الجزائري أثناء الحملة الانتخابية لرئاسيات 2014 أن الخطاب السياسي لدى المترشحين في هذه الحملة الانتخابية لم يكن بالدرجة الكافية من الأداء المنتظر منه، فقد كان يعوزه التحليل الدقيق لواقع المجتمع الجزائري وهو واقع سريع التجدد تعاقبت أجياله بصورة عالية، نتج عنها بروز انشغالات جديدة، وتنوع للحاجات أجد، وتجاوب اكبر مع المؤثرات الحديثة للحضارة، واندماج شبابه في تداعيات العولمة، وأساطير الحريات وحقوق الإنسان، وأحابيل الفوضى غير الخلاقة التي تجتاح العلاقات الدولية، بينما ظل الخطاب السياسي في هذه الحملة بطيئا مستنسخا عن بعضه البعض، لا يلبي الحاجات الحقيقية للمجتمع الجزائري، انه في حاجة الى الابتكار والإبداع كي يستجيب لطموحات وتطلعات الشعب الجزائري التي لم تعد محصورة في القضايا الاجتماعية والتنموية[13].

كما يرى الدكتور بوقشور محمد من جامعة محمد لمين دباغين- سطيف2 بأن إفلاس الخطاب السياسي هو نتيجة منطقية لتعويم الساحة السياسية وتمييع العمل السياسي، وكذا بؤس تمثلات أشباه الساسة لأدوارهم في المجتمع[14].

تنبع مصداقية الخطاب السياسي من خلال تطابق رسالة المتحدث مع واقعه، وقد يفقد الخطاب السياسي معناه وهدفه ولا تصل رسالته إلى المتلقي، ويفقد السياسي مصداقيته إذا كان بعيدا عن الواقع، لتفقد معه مصداقية الحزب السياسي بأكمله، وفي هذا السياق يضيف الدكتور أحمد حمدي: (لا شك أن التأثير في الجمهور وإقناعه غاية كل خطاب سياسي، وذلك بهدف تعديل رأيه والاستجابة لمضمون النداء الموجه إليه، لكن ما شاب هذه الحملة هو الهرج الفلكلوري البعيد عن الإقناع، واستنساخ البرامج عن بعضها البعض إلا من رحم ربك، وعدم اعتبار مقتضيات الخطاب المحلية، كلها أمور ساهمت في إضعاف هذا الخطاب)[15].

وحينما نتحدث عن الحزب السياسي كمؤسسة، فإننا نتحدث عن نوعين من الاتصال، الاتصال الداخلي، والاتصال الخارجي، فالحديث عن الاتصال الداخلي هو الحديث عن جملة من التفاعلات الوظيفية والتنظيمية داخل التنظيم الحزبي، أما الاتصال الخارجي فنقصد به علاقة الحزب السياسي بكل الفواعل الاجتماعية والسياسية والقانونية والإيديولوجية الخارجية، ومن بين الوسائل السياسية التي يعتمد عليها الحزب السياسي أسلوب الحوار والإقناع، فهي من

الوسائل الهامة لتحقيق وحدة وتماسك وحدة الحزب الداخلية، حيث يوفق بين وجهات نظر أعضائه المتباعدة أو المتضاربة، كما يطور مواقفه وبرنامجه بفضل الآراء والمعلومات التي تنشرح عنها المناقشات المختلفة داخله[16].

فالخطاب السياسي الحقيقي هو ذلك الخطاب الذي يحترم مقومات الأمة ووحدتها، ويكرس كل جهوده ليربط العلاقة مع القاعدة الشعبية من خلال تنظيم ندوات اجتماعية من اجل زيادة ربط العلاقة بين أعضاء الحزب والشعب... وتشجيع التعاون الاجتماعي والترابط الأسري وإيجاد حلول للقضايا الاجتماعية [17].

ويضيف الدكتور بوقشور محمد قائلا: (فالكل على سبيل المثال يتحدث عن الديمقراطية باعتبارها الوصفة الشافية من كل الأمراض التي يعاني منها المجتمع، وأنها المفتاح السحري الذي تفتح به جميع الأبواب الموصدة. لكن الكل يتناسى أن الديمقراطية نفسها بحاجة إلى مفتاح يفك شفرتها. ولأن الديمقراطية، كما يؤكد جورج طرابيشي، هي بالأساس ظاهرة مجتمعية، ولا يمكنها أن تكون نظاما للحكم دون أن تكون نظاما للمجتمع، ولأن الديمقراطية هي في التحليل الأخير ثقافة ومنظومة قيم متضامنة، وهي بذرة قبل أن تكون ثمرة، فإن ثمن الجهد قد يكون مضاعفا عندما يتم استزراع بذرة الديمقراطية بالمثاقفة، أما بخصوص لغة هذا الخطاب في شقيها المنطوق والمكتوب فيتوجب بداية التأكيد على أن اللغة هي الميزة الأولى والأساسية التي تحدد هوية الإنسان)[18].

ثانيا: عوامل قوة الخطاب السياسي وسبل تفعيل المشاركة السياسية في الجزائر

يرتكز كل خطاب سياسي على مجموعة من الأطر النظرية التي ترتكز بدورها على مجموعة من المفاهيم المترابطة في النص، لتبني صورة ذهنية للمتلقي ترتسم من خلالها ملامح الظاهرة السياسية في مستويين، مستوى الترابط المنطقي في بنية الخطاب، ومستوى القدرة على انتقال مضمون الخطاب إلى حيز التطبيق والفعل[19]، كما تتحدد قوة الخطاب السياسي من خلال وبالتالي القدرة على تفعيل الأداء السياسي من جهة، والأداء الحزبي من جهة أخرى.

أ- عوامل قوة الخطاب السياسي:

تنبع قوة الخطاب السياسي الموجه من خلال مجموعة من النقاط والتي نوجزها فيما يلي:

1- ثقافة المتحدث والتي تظهر جليا في استشهاداته ومقارناته[20]، فمهما امتلك المتحدث من مواصفات فنية تتعلق بمستوى أدائه وقوة شخصيته، ومدى أهمية النص الخطابي أو خطورته أو نسبة التشويق فيه، إلا أن العامل الأساسي في نجاح الخطاب السياسي وتأثيره هو تلك المقومات الثقافية التي تميزه عن الآخرين، وهي مجموع المعلومات والمعارف العميقة والدقيقة والشاملة حول الموضوع الذي يتحدث عنه؛ لأن الأخذ بالكلمات الأنيقة والعبارات الرنانة بدون الارتكاز على معطيات علمية موثوقة و معانٍ قوية ومتماسكة يخلي الخطاب السياسي من قوته وهدفه الحقيقي.

2- تتحدد قوة الخطاب أيضاً من خلال انسجامه وتناغمه الداخلي ذلك أن نشاط الخطاب المنطوق والمسموع هو جهد عضلي يتم لتحقيق هدف معين يتجاوز النشاط نفسه، وحتى إذا لم يكن للخطاب هدف فله وظيفة كالوظيفة الاجتماعية للحديث، أي أن يكون المتحدث اجتماعياً (بالتحدث) من أجل كسر الصمت فقط كما يذهب إلى ذلك اللساني الاجتماعي مالينوسكي[21].

3- قوة شخصية المتحدث ومدى قدرته على إقناع الجماهير بالقضية أو المسألة التي يطرحها، ومواجهة أي مشكلة أو أزمة بكل ثقة ونجاح، لذلك يجب على المتحدث أن يتعرف على هذه القوى ويتعلم كيف يستثمرها بنجاح.

4- مدى القوة اللغوية للمتحدث وانسجامها مع الحديث فالناظر إلى حديث أردوغان للبرلمان التركي عند حادثة أسطول الحرية يرى بنفسه قوة اللغة التركية التي يتحدث بها حتى عند من لا يفهمها وكيف كان أردوغان يثير الحماسة في النفوس والضمائر، ومن هنا حق لها أن تهز العالم وتجعله ينتفض لتلك الحادثة(22).

5- الوعي السياسي لدى المتحدث، ونقصد به تلك الرؤية الشاملة الناتجة من معارف سياسية وقيم واتجاهات سياسية التي تتيح إدراك أوضاع المجتمع ومشكلاته مع القدرة على تحليلها والحكم عليها والانحياز إلى موقف منها مما يدفعه للتحرك من أجل التغيير والتطوير.

6- الشفافية والواقعية هما أحد العناصر الهامة في تفعيل قوة الخطاب السياسي، لأنها تساهم في تعزيز قيمة الصدق في حياتنا لأنها ليست مطلباً فقط، بل هي قيمة ملتزمة تلازماً أكيداً بقيمنا التربوية والسياسية والأخلاقية والتاريخية والوطنية والعقائدية، فعندما يتحدث أي مسؤول سياسي عن شفافية الانتخابات، في الوقت الذي يعلم فيه الجميع أن هناك تزويرا، فإن ذلك حتما سينقص من تقبل المتلقي للخطاب السياسي لهذا المسؤول، ويلقي به عرض الحائط.

7- الثقة بين المتحدث والجماهير أحد عناصر القبول المتكرر للحديث فإذا حدث و قد أخطأ أو خدع أحد المتحدثين أو كذب في خطابه فإن ذلك دعوة لعدم السماع والتصديق لذلك المسئول مرة أخرى، فبالنسبة لنا شعوب المسلمين قد جربنا الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش أكثر من مرة وعهدنا منه سقطات كلامية خطيرة فانصرف الكثير عن الاهتمام به وكذلك يحدث الآن مع أوباما حيث علم الجميع أن فعله لا يطابق كلامه وبالتالي فمن الصعب أن تثق فيه الجماهير مرة أخرى إلا بأفعال حقيقية يراها الجميع وتمحو من الذاكرة المواقف السابقة(23).

ب- سبل تفعيل المشاركة السياسية في الجزائر:

تعد المشاركة السياسية معيارا حقيقيا لنمو النظام السياسي ومؤشرا هاما على ديمقراطيته، وهي بذلك تساهم في تعزيز دور المواطنين ضمن إطار النظام السياسي من خلال ضمان مساهمتهم في عملية صنع السياسات، فهي تعتبر المظهر الرئيس للديمقراطية، ولا تتحقق المشاركة السياسية إلا بوجود ممارسة سياسية حقيقية، تكمن قوتها من خلال الدور الذي تلعبه القيادات السياسية والتشكيلات الحزبية التي تعبر عن الأداء السياسي، والذي يعبر هو الأخر عن نتيجة السلوكات التنظيمية والوظيفية التي تؤديها جميع العناصر الفاعلة في النظام السياسي سواء تعلق الأمر بأداء المؤسسات الحزبية وقياداتها، أو أداء المؤسسات البرلمانية، أو المؤسسات الإعلامية... الخ، ولا يتم تحقيق ذلك إلا من خلال ما يلي:

1- تعزيز وتوسيع دائرة مشاركة الشباب في العمل السياسي، من خلال إشراكهم في كل العمليات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وتشبيب الإدارة.

2- تعزيز دور البرلمان بوصفه حلقة وصل حقيقية بين القمة والقاعدة، أي بين السلطة السياسية وانشغالات المواطن، كما ينبغي على البرلمانيين الاضطلاع بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم إزاء صياغة السياسات الاجتماعية والاقتصادية، واتساقا مع مبدأ أن زيادة مشاركة الشباب في الحياة العامة يعتبر عنصرا حاسما في نجاح كل برامج التنمية.

3– تعزيز دور الإعلام العام والخاص في تنمية الوعي السياسي لدى المواطن.

4– توفير جميع الضروريات التي يحتاجها المواطن، كالغذاء، السكن، الأمن، تحقيق كرامة الإنسان وغيرها...الخ.

5– المشاركة الشعبية من خلال الهيئات والمجالس المحلية يمكن أن تقوم بدور الرقابة والضبط وهذا أمر ضروري يساعد الحكومة على اكتشاف نقاط الضعف بل يمنع أحيانا من وقوع أخطاء من المسؤولين التنفيذيين وصورة تسيير حل مشاكل الجماهير وتحقيق يكون فيه المواطنين مشاركين لا تفرجين(24).

6– تدعيم الثقة بين المواطن والأحزاب السياسية، وتعزيز دور الممارسة السياسية في المجتمع، والذي يظهر جليا من خلال دور التشكيلات السياسية والقيادات الحزبية في نقل صورة حقيقية معبرة عن انشغالات المواطن إلى البرلمان، كما أن وجود أحزاب سياسية حقيقية وقوية لا يتأتى إلا من خلال ما يلي:

مدى نجاح المؤسسات الحزبية وريادتها من خلال مرونة الهيكل التنظيمي للأحزاب السياسية:

يتمثل البناء التنظيمي للحزب السياسي في الهياكل البنائية التي يعتمد عليها الحزب في إقرار سياساته وعقد مؤتمراته وتنفيذ برنامجه، وهذه الهياكل هي التي تحدد مدي قدرة الحزب علي أن يكون مؤسسة بالمعني الحرفي للكلمة، هـــذا إلى جانب التكيف والاستقلال والتماسك، هناك التشعب التنظيمي كمحدد على نجاح الحزب كمؤسسة.

أ. قوة الخطابات السياسية، صدقها وواقعيتها، وذلك من خلال انسجام الخطاب السياسي وتناغمه الداخلي، بحيث أن نشاط الخطاب المنطوق والمسموع هو جهد عضلي يتم لتحقيق هدف معين يتجاوز النشاط نفسه، وحتى إذا لم يكن للخطاب هدف فله وظيفة كالوظيفة الاجتماعية للحديث: أي أن يكون المتحدث اجتماعياً (بالتحدث) من أجل كسر الصمت فقط كما يذهب إلى ذلك اللساني الاجتماعي مالينوسكي(25).

ب. إن التوجه الذي تنتهجه الأحزاب السياسية لكسب التأييد الشعبي وخلق قاعدة جماهيرية حقيقيةـــ لابد أنن ينطلق أولا من إيمانها الخالص بأهدافها وتوجهاتها، وتحقيق أمالها من خلال برامجها وسياساتها، مما يترتب عليها انتهاج سياسة اتصالية فعالة، هادفة، مبرمجة ومنظمة تتواصل من خلالها مع هذه القاعدة الشعبية، وبقدر ما كانت هذه البرامج السياسية تمتلك عمقاً شعبياً أكبر بقدر ما كانت أقرب إلى التحقيق على أرض الواقع.

ج. الكف عن تدخل السلطة في شؤون الأحزاب الداخلية، وتجاوز الانقسامات والانشقاقات الداخلية وتجسيد الديمقراطية من خلال التداول الداخلي في هرمها القيادي، واستمرارية العمل الحزبي على مدار السنة حتى لا تصبح أحزابا موسمية، **و**إعداد برامج، بما أن الموارد المادية والبشرية متوفرة، تكون واقعية وواضح المعالم بإمكانها تحقيق التنمية(26).

د. الولاء السياسي للحزب وقواعد الانضباط الحزبي، مما يعزز روح التعاون والعمل بكل روح سياسية تضمن تحقيق الأهداف المسطرة، وتحقيق أداء سياسي **مميز وفعال، والابتعاد على الاعتماد** على الأشخاص أو على مبدأ الشخصنة في نشأة الأحزاب السياسية والتمسك بإدارتها وتوجيهها، ولنا العديد من الأمثلة لبعض الشخصيات التاريخية البارزة التي ساهمت في إنشاء بعض الأحزاب(**27**).

ه. وضع معايير اختيار وتقييم القيادات الحزبيـــة ممـــا يتطلـــب تحديـــد مؤشـــرات قيـــاس الأداء التنظيمـــي والمؤسساتي للحزب، واعتماد الدقة باعتبارها العنصر الأساسي في نجاح عملية القياس، فهي عملية ليست سهلة، لأنهـــا

تعتمد على وضع مجموعة من الأسس اللازمة لاختيار المؤشرات في حين يجب أن تليها عملية المتابعة والرقابة المستمرة، يتم من خلال هذه المؤشرات متابعة الأداء وتحديد انحرافات سيره أثناء التنفيذ بهدف تلافيها ومعالجتها.

و. الاعتماد على برامج حقيقية نابعة من بيئة وثقافة المجتمع الجزائري بكل واقعية، يتم من خلالها تصور رؤى واضحة لوضع خطط لحل المشاكل التي يعاني منها المواطن الجزائري.

ز. تفعيل نظام الاتصال الداخلي والخارجي للحزب السياسي، ويتم ذلك من خلال تقريب المواطن من الحزب السياسي، والاستماع لانشغالاته، وزرع الثقة من خلال وضع خطط يتم من خلالها تصور الحلول الممكنة لكل مطالب وانشغالات المواطن، ومن جهة أخرى تقوية جهاز الاتصالات الداخلي للحزب من خلال الاعتماد على سياسة واضحة تتماشى والثقافة التنظيمية للحزب السياسي، يتم من خلالها تعزيز الولاء السياسي داخل الحزب، مما يفعل الأداء الحزبي.

ح. التحلي بأدبيات الخطاب السياسي الفعال الذي يساهم في نشر الوعي السياسي والثقافي، وأن يكون عنصرا هاما في عملية البناء الديمقراطي على أن يعالج واقع الحياة الاجتماعية والسياسية بكل ديمقراطية وشفافية بعيدا عن الحسابات الشخصية الهدامة.

ط. مدى كفاءة استخدام أدوات الدعاية والإعلام، والقدرة علي الاتصال بالقاعدة الجماهيرية بكل فعالية.

ي. مدى نجاح الدور البرلماني للحزب: والمقصود به دور مستويات الحزب المختلفة في صياغة السياسات العامة وآليات التنسيق مع الحكومة في هذا الشأن، فضلا عن آليات تنسيق الحزب مع هيئته البرلمانية.

الخاتمة:

يجرنا الحديث عن المشاركة السياسية الدائمة من خلال دور الأحزاب السياسية في المعترك السياسي، فالأحزاب السياسية شأنها شأن جميع المؤسسات السياسية في الدولة تحتاج إلى الدعم الشعبي والجماهيري الذي يحافظ على استمراريتها ويعزز مكانتها داخل المجتمع، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تفعيل دور الاتصال السياسي بكل اتجاهاته وأنواعه المختلفة، لأنه يعتبر من الضروريات التي يجب أن يتبناها الحزب في منهجه وبرامجه وتصوره، لأن هدف أي حزب سياسي هو الوصول إلى السلطة أو المشاركة فيها، شريطة وجود قاعدة شعبية تؤمن بأفكاره ومبادئه وأهدافه وخطاباته السياسية التي تنم من واقع حقيقي وصادق هدفه النظر إلى المستقبل من أجل معالجة جميع المشاكل العالقة التي يواجهها المواطن، لأن كل خطاب سياسي يرتكز على مجموعة من الأطر النظرية التي بدورها ترتكز على مجموعة من المفاهيم المترابطة في النص، لتبني صورة ذهنية للمتلقي ترتسم من خلالها ملامح الظاهرة السياسية في مستويين، مستوى الترابط المنطقي في بنية الخطاب السياسي، ومستوى القدرة على انتقال مضمون الخطاب حيز التطبيق والفعل، كما أن التحلي بأدبيات الخطاب السياسي الفعال يساهم وبصورة كبيرة في نشر الوعي السياسي والثقافي، وخلق الثقة في مناخ تنظيمي مناسب ومشجع على العمل السياسي والممارسة السياسية، وأن يكون عنصرا هاما من عناصر البناء الديمقراطي.

التهميش:

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد الثاني، بيروت: دار الجيل، 1988، ص 856.

(2) ديان مكدونيل، **مقدمة في نظريات الخطاب**، ترجمة د.عز الدين إسماعيل، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ط1، 2001، ص 30 .

(3) عبد الله زلطة، **الإعلام الدولي في العصر الحديث**، مصر: دار النشر للجامعات ، 2001، ص 19.

(4) أحمد زايد، **صور من الخطاب الديني المعاصر**، القاهرة: دار العين للنشر والتوزيع، 2007، ص 21.

(5) أمجد أبو العلا، **الخطاب السياسي وأثره في تحريك الشعوب**، مركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب، http://wefaqdev.net/art3730.html، لوحظ يوم 09 نوفمبر 2015، على الساعة 12.00 بتوقيت الجزائر.

(6) أمجد أبو العلا، **مرجع سابق**، http://wefaqdev.net/art3730.html، لوحظ يوم 09 نوفمبر 2015، على الساعة 12.10 بتوقيت الجزائر.

(7) وليد عبد الحي، **لغة الخطاب السياسي: المشكلة والحل**، جامعة اليرموك، المحاضرة الخامس عشر، 21 تشرين الثاني 2013، ص 514.

(8) بلقيس أحمد منصور، **الأحزاب السياسية والتحول الديمقراطية الدراسات تطبيقية على اليمن وبلاد أخرى**، القاهرة: مكتبة مدبولي،2004، ص57.

(9) دورات تدريبية، **دور الشباب في العمل البرلماني ومكافحة الفساد**، غزة، فلسطين: مؤسسة صوت المجتمع، 2009، ص 1.

(10)مولود زايد الطبيب، **علم الإجتماع السياسي**،ط1، ليبيا، الزاوية: منشورات جامعة السابع من أبريل، 2007، ص 87.

(11) نورالدين ثنيو، **الديمقراطية داخل الاحزاب في البلدان العربية**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004، ص 219.

(12) الأستاذ الدكتور أحمد حمدي من مواليد 1948/9/9 بالدبيلة ــ ولاية الوادي بالجنوب الجزائري،ـــ عميد كلية العلوم السياسية والإعلام مـــن 2003 الى سنة 2013، وعميد كلية علوم الاعلام والاتصال منذ سنة 2014.

(13) أحمد حمدي، قراءة في الخطاب السياسي الجزائري (حوار خص به جريدة الشعب)، فضاء أحمد حمدي، http://www.ahmedhamdi.net/?p=362، لوحظ يوم 09 نوفمبر 2015، على الساعة 11.30 بتوقيت الجزائر.

(14) بوقشور محمد، **إفلاس الخطاب نتيجة منطقية لتمييع العمل السياسي**، الموقع الرسمي لجريدة الخبر، http://www.elkhabar.com/press/article/87299/، لوحظ يوم 09 نوفمبر 2015، على الساعة 11.20 بتوقيت الجزائر.

(15) أحمد حمدي، قراءة في الخطاب السياسي الجزائري (حوار خص به جريدة الشعب)، فضاء أحمد حمدي، http://www.ahmedhamdi.net/?p=362، لوحظ يوم 09 نوفمبر 2015، على الساعة 11.30 بتوقيت الجزائر.

(16) الأمين شريط، **الوجيز في القانون الدستوري والمؤسسات الدستورية المقارنة**، الجزائر: ديوان المطوعات الجامعية، 1998، ص 257.

(17) الأمين شريط، **مرجع سابق**، ص 259.

(18) بوقشور محمد، **إفلاس الخطاب نتيجة منطقية لتمييع العمل السياسي**، الموقع الرسمي لجريدة الخبر، http://www.elkhabar.com/press/article/87299/، لوحظ يوم 09 نوفمبر 2015، على الساعة 11.50 بتوقيت الجزائر.

(19) وليد عبد الحي، **لغة الخطاب السياسي: المشكلة والحل**، جامعة اليرموك، المحاضرة الخامس عشر، 21 تشرين الثاني 2013، ص 503.

(20)أمجد أبو العلا، **الخطاب السياسي وأثره في تحريك الشعوب**، مركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب، http://wefaqdev.net/art3730.html، لوحظ يوم 09 نوفمبر 2015، على الساعة 12.00 بتوقيت الجزائر.

(21) _ Malinowski, B (1923- p 315) **“The problem of meaning in primitve languages’ In: The meaning of meaning . By C. Ogden and I, Richards. Harcourt, Brace and World. New York.**

(22)أمجد أبو العلا، **مرجع سابق، بدون صفحة**.

(23)أمجد أبو العلا، **الخطاب السياسي وأثره في تحريك الشعوب**، مركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب، http://wefaqdev.net/art3730.html، لوحظ يوم 09 نوفمبر 2015، على الساعة 12.00 بتوقيت الجزائر.

(24)ــ بلقيس أحمد منصور، **الأحزاب السياسية والتحول الديمقراطية الدراسات تطبيقية على اليمن وبلاد أخرى**، القاهرة : مكتبة مدبولي،2004، ص ص 58-59.

(25)**Malinowski, B (1923- p 315) “The problem of meaning in primitve languages’ In: The meaning of meaning . By C. Ogden and I, Richards. Harcourt, Brace and World. New York.**

(26) نورالدين حاروش، **تفسير العجز الوظيفي للأحزاب في إطار الإصلاحات السياسية في الجزائر**، مداخلة قدمت في الملتقى الوطني الثاني المنظم من طرف جامعة الجلفة حول الإصلاحات السياسية في الجزائر يومي 06 و07 مارس 2013.

(27)عيسى جرادي، **الاحزاب السياسية في الجزائر**، الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع،2007، ص 46.